الفصل الثاني

السلوك الإنساني Behavior

(التصرفات)

obeikandl.com

السلوك الإنساني

(التصرفات)

دوافع السلوك : (*)

يحاول كل فرد منا أن يفهم الدوافع التي تدفع المحيطين به إلي أن يسلكوا هذا السلوك أو غيره ، فالأم تحاول أن تعرف الدوافع التي تدفع بصغيرها إلي العزوف عن اللعب مع رفاقه والانتحاء جانبا بعيدا عنهم، والمدرس يحاول أن يعرف الدوافع التي تدفع بعض التلاميذ إلي الخروج عن النظام أو التي تدفع بعضهم إلي الإقبال علي الدراسة والاستفادة من الدروس ، والقاضي يحاول أن يتعرف علي الدوافع التي تدفع المجرم إلي السلوك المنحرف رغم ما يعلمه من قسوة العقاب .

---

* مكونات الدافع النفسي : حافز داخلي – باعث خارجي – الميل – النزعة – الرغبة – العاطفة – الهدف .

١- الحافز هو الدافع الفطري في فترة كمونه .

٢- الباعث هو الدافع عندما يكون اجتماعياً.

٣- الميل هو حاصل جمع الحافز مع الباعث في العمل الاجتماعي.

٤- النزعة هي الميل عندما يتضح في شعور الفرد وإدراكه.

٥- الرغبة هي النزعة عندما تكون أكثر وضوحاً وتميزاً في شعور الفرد.

٦- العاطفة هي حاصل جمع الرغبة مع النزعة ولكن تحت ضغط الشخصية الانفعالية، فهي مجموعة انفعالات مركبة .

٧- الهدف هو الغاية التي يهدف إليها الدافع النفسي.

obeikandl.com

والواقع أن اهتمام علماء النفس بموضوع دوافع السلوك لا يقل عن اهتمام جمهرة الناس به . ذلك أن موضوع الدوافع يكد يتصل بجميع أوجه النشاط النفسي التي يدرسها علم النفس العام من عمليات عقلية وتعلم وتفكير كما يتصل بتكوين شخصية الفرد بوجه عام . ولعل السبب المباشر الذي أدى إلي زيادة الاهتمام بدراسة موضوع الدوافع هو ذلك السلوك الصادر عن الشخصيات التي لديها اضطراب نفسي أو عقلي والذي يمكن أن نسميه السلوك المنحرف .

وكأنه سلوك بمعناها العام تتضمن كل نشاط يقوم به الكائن الإنسان وكل حركة تصدر عن بعض الكائنات الحية الأخرى ، فمثلاً بحث الحيوان عن الطعام يعتبر سلوكا وحنو الأم علي ولدها يعد سلوكا ، وانشغال الطفل بلعبة يعتبر سلوكا . ومن ناحية المفهوم النفسي الدقيق يمكن أن نعتبر السلوك نتاجا للعلاقات الديناميكية الصادرة عن تفاعل الإنسان ، بميوله واستعداداته ونوازعه وحوافزه ورغباته ، مع البيئة الحقيقية له بما فيها من قوى مادية وعناصر تؤثر بدورها في سلوك الأفراد .

والمقصود بالسلوك إذن ما يكون وراءه دافع يدفع الكائن الحي للقيام به ، أما الأفعال المنعكسة كضيق حدقة العين مثلا عند سقوط ضوء شديد عليها فلا يمكن اعتبارها نوعا من السلوك الذي يدفع إليه دوافع معينه وإنما يتم هذا الفعل المنعكس علي أساس عصبي بحت ولو أن حكمته حماية العين .

مكونات السلوك :

ميزنا بين السلوك الذي يكون وراءه دافع يدفع الكائن الحي للقيام به، وبين الأفعال المنعكسة ، ونريد أن نلقي الضوء علي مكونات السلوك الذي وراءه دوافع فنرى أنه يرمي إلي الوصول إلي هدف ما ، وهذا السلوك - الذي هو مرحلة متوسطة بين الدافع والهدف - يتصف بالفرضية والتلقائية والتغير والتحسن والتكيف . ونقصد بالسلوك كل أنواع النشاط العقلي سواء أكانت حركة ظاهرة كالكتابة والحل والتركيب أم حركة غير ظاهرة وغير واضحة كالتدبير والتفكير والتخيل .. الخ .

هذا النوع من النشاط العقلي غير الظاهر لا تسهل ملاحظته إلا عن طريق التأمل الباطني ، ويدخل تحت ما يسمي بالحياة الشعورية أو الشعور .

وحدة الشعور :

نلاحظ أن تفكيرنا وإدراكنا وحالات السرور والألم وما عندنا من رغبات وآمال .. كل هذه تكون متداخلة بعضها في البعض الآخر ونسميها في مجموعها في لحظة ما بالشعور . وأول ما نلاحظ أن هذا الشعور دائم التغير في مدة قصيرة ولكن رغم ذلك فهذا التغير تدريجي بحيث تتصل حلقات الشعور بالبعض الآخر ، فشعوري في لحظة ما يتصل بشعوري في اللحظة السابقة لها ويستمر هذا الشعور المتصل الدائم التغير من الولادة إلي الوفاة .

وقد شبه وليم جيمس الشعور بتيار الماء وذلك من حيث أن كل إنسان له شعوره المتميز عن غيره ، وكذلك يختلف كل مجرى مائي عادة عن الآخر ، كذلك فإن تيار الشعور متدفق مستمر من الميلاد حتي الوفاة مثل المجرى من المنبع إلي المصب ، كما أنه يكون ضيقا في أيام الطفولة مثل بداية النهر ثم يتسع مجاله للأعمال المعقدة مع نمو الشخص ، كذلك فإن تيار الشعور دائم التغير مثل تيار الماء وإن كان يشكل وحدة . ثم إنني لا استطيع أن أوقف تيار الشعور ولكنني أستطيع أن أقلل من سرعته كما يحدث عند النوم . ومعروف أن مثل هذه التشبيهات لها خطورتها في مجالات العلم ويكفي أن نعرف أن الشعور نشاط كلي وظيفي مستمر متصل بالإنسان.

مراتب الشعور :

أن شعور المرء في أية لحظة يكون كالموجة بعض موضوعاته يشغل القمة والبعض الآخر يشغل الجانبين . فإذا كنت أقرأ كتابا وأنا مسافر في قطار فإن الأفكار التي ترد في الكتاب تشغل قمة الموجة أي أنها تكون في بؤرة الشعور .، أما الخط والأسلوب فإنهما يشغلان جزءا ثانويا من النشاط الشعوري أو يكون في هامش الشعور ، أما ما يحيط بي من صوت القطار وحركته فقد لا يدخلان في الشعور بشكل ظاهر ومع ذلك فقد يؤثران فيه وتسمى هذه المرتبة الأخيرة شبه الشعور، علي أن الشعور دائم التغير كما سبق أن ذكرنا فإذا حدثني صديق يجلس معي فإن حديثه ينتقل إلي بؤرة الشعور دون الموضوع الذي أقرأه في الكتاب وهكذا .

مكونات الشعور :

عرفنا أن محتويات الشعور تختلف في درجة وضوحها ما بين تمركزها في البؤرة أو وجودها في الهامش ونريد الآن أن نحلل مكونات الشعور فنستطيع أن نحلل كل حالة شعورية إلي مكونات ثلاثة فإذا رأيت صديقا لي في الطريق فأنني أشعر بالسرور لرؤيته ثم أذهب إليه لأصافحه وأتحدث إليه . فرؤيتي لصديقي هي المعرفة أو الإدراك ، والسرور بهذه الرؤية هو الوجدان .

والرغبة في الذهاب إليه هي النزوع . أما الذهاب فعلا فهو تنفيذ للرغبة أو السلوك الظاهري الذي يعبر عن هذا النزوع .

ونجد في المثال السابق أن الوجدان يأتي بعد الإدراك وأن النزوع يأتي تابعا للوجدان . ولكنا نجد عادة أن النواحي الثلاث متداخلة بصورة يصعب معها تحديد تتابع احدهما للأخرى . وفي الغالب أن كلا من الوجدان والنزوع يسبقه معرفة ، ولكن النزوع قد يؤدي أحيانا إلي الوجدان أو قد ينشأ عنه ، فالإعجاب بكتاب ما قد يدفعني إلي الحصول علية ، كما أن الحصول عليه يؤدي إلي حالة وجدانية بالارتياح . ثم أن النزوع قد يؤدي إلي نجاح وإدراك للنجاح. وهكذا لا نجد حالة معرفة خالصة أو وجدان بحت أو نزوع مجرد ، ولكننا نجد حالات يغلب فيها أحد المظاهر الثلاثة في المظهرين الآخرين .

ويمكننا أن نقسم البشر وخاصة البارزين إلي ثلاثة أنماط تبعا لطبيعة الاتجاه الذي يغلب علي حياتهم . فالنمط الأول هم الذين تغلب

علـي حيـاتهم ناحيـة المعرفـة وهـؤلاء مـن أمثـال العلمـاء والمفكـرين والباحثين .

والـنمط الثـاني هـم الـذين تغلـب علـي حيـاتهم الناحيـة الوجدانيـة مـن أمثال الشعراء والأدباء والفنانين .

والـنمط الثالـث هـم الـذين تغلـب علـي حيـاتهم الناحيـة النزوعيـة والإراديـة التنفيذيـة مـن أمثـال القـواد والجنـود والمـديرين وغالبيـة البشـر العاديين.

فـإذا مـر ثـلاث أصـدقاء يمثلـون هـذه الأنمـاط علـي شـجرة جميلـة فقـد يتحـدث الأول عـن تكوينهـا وعمرهـا ونوعهـا أمـا الثـاني فقـد يروعـه جمالهـا وتمايـل أغصـانها ، أمـا الثالـث فقـد يفكـر فـي قطـع أخشـابها لصـناعة بعـض الأثـاث منهـا ، فنزعـه الشـخص الأول عمليـة ونزعـة الثـاني شـعرية عاطفيـة ، ونزعـه الثالـث عمليـة . ولابـد أن نؤكـد أن الشـخص لا توجـد فيـه نزعـة واحـدة دون النزعـات الأخـرى ، وإنمـا تكـون أحيانـاً نزعتـه الغالبـة متجهة اتجاها خاصا.

الشعور واللاشعور :

يمكـن تقسـيم الحيـاة العقليـة إلـي شـعورية ولا شـعورية ، والعناصـر اللاشـعورية يمكـن تقسـيمها إلـي قسـمين : أحـدهما العناصـر اللاشـعورية التـي يسـهل اسـترجاعها وتـذكرها والقسـم الآخـر يتضـمن العناصـر اللاشـعورية التـي لا يمكـن اسـترجاعها إلا بطـرق معينـة مثـل طـرق التحليل النفسي .

والحالات العقلية الشعورية هي التي يتكون مها شعوري في هذه اللحظة وواضح أنها محدودة جدا بالنسبة للحالات التي تنتمي لحياتي العقلية والتي لا توجد في شعوري في هذه اللحظة .

ويدخل تحت الحالات العقلية اللاشعورية التي يسهل استرجاعها كثير من الخبرات السابقة والذكريات والمعلومات والعواطف . فإذا سألناك عن أسم القائد المصري الذي أوقف زحف التتار علي المشرق العربي فإنك قد تجيب إجابة صحيحة بمعلومات كانت لا شعورية قبل أن تسمع هذا السؤال ثم أصبحت شعورية . ويقال حينئذ أن هذه المعلومات في حالة لا شعورية يسهل استرجاعها .

أما الحالات العقلية اللاشعورية التي لا يمكن استرجاعها إلا بطرق خاصة فمنها تلك الرغبات المكبوتة والذكريات والخبرات المؤلمة المنسية التي قد تؤثر فينادون أن ندركها فتؤثر في اتجاهاتنا وفي سلوكنا وفي أحلامنا . ولكي نفهم مثل هذه الحالات العقلية اللاشعورية نذكر علي سبيل المثال ما يحدث للمراهق عندما يضربه والده فانه يشعر عادة بأنه قد كبر وأنه ليس من حق والده أن يضربه ، ولكن كثيرا ما يقنع نفسه بأنه يحب والده وأن والده يحبه وأن ما وقع من الضرب كان أمرا مقبولا لدية . ويعلن أمام نفسه وأمام الأهل أنه يحب والده ويحترمه . ولكنه قد يحث شغبا يزعج والده وهو نائم ، وتجده يحث هذا الشغب بالرغم من إرادته وتجده يعتذر عنه ، وقد يحلم في يوم من الأيام أن والده قد قضي نحبه فينزعج لهدا الحلم الذي يقوم فيه بتحقيق رغبة لا شعورية وهي الانتقام منه .

والـذي يحفـظ الحـالات العقليـة اللاشـعورية فـي هـذه الصـورة اللاشعورية ويمنعها من غزو الشعور ، هو ما نسميه الكبت الذي يتمثل في الاستبعاد اللاشعوري للأحداث والذكريات الأليمة والخبرات الغير سارة في اللاشعور أو ما أسميه بالبنك النفسي للشخصية.

النظريات التي تفسر السلوك :

ذهب الباحثون مذاهب شتى في تفسير دوافع السلوك . ومن هذه التفسيرات ما يلي :

أولا ـ نظرية الغرائز :

عندما نرجع حب الأم لوليدها وعطفها عليه إلي غريزة الوالدية ، وحب الناس إلي الاجتماع ببعضهم والعيش معا في جماعات إلي الغريزة الاجتماعية ، وعندما نرجع الحروب المختلفة والقتال والعراك إلي غريزة المقاتلة فإننا حينئذ نتحدث عن دوافع السلوك باعتبارها دوافع فطرية موروثة غير مكتسبة عند الكائن الحي بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة.

وقد بدأ أصحاب هذه النظرية دراساتهم علي سلوك الحيوانات ، وخصوصا الحيوانات الدنيا باعتبار أن سلوك هذه الحيوانات هو أبسط ألوان السلوك وأنه يمكننا من تفسير ألوان أخرى من السلوك أكثر تعقيداً كما نفسر علي أساسه كذلك السلوك البشرى .

فصغار الفراخ تنقر الأشياء الصغيرة بمجرد خروجها من البيضة دون أن تكون قد رأت غيرها يقوم بمثل هذا السلوك من قبل ، والطيور تبني أعشاشها كل بطريقته الخاصة لتفرخ فيها صغارها وتحتضنها مدة من الزمن .

هذه الأفعال تعتبر أفعالا فطرية لا يكتسبها الحيوان عن طريق الخبرة أو التعلم أو التمرين أو المحاكاة . وقد افترض بعض علماء النفس لتفسير مثل هذه الأنواع من السلوك الفطري وجود قوى حيوية تدفع الفرد إلي السلوك سلوكا معينا . وسميت هذه القوى الحيوية الدافعة باسم : الغرائز أو العاطفة كما سمي هذا السلوك الفطري باسم " السلوك الغريزي" أو السلوك العاطفي الوجداني

العاطفة أوالغريزة في نظر هؤلاء العلماء عبارة عن استعداد فطرى لا يحتاج إلي تعلم ، يدفع الكائن الحي أو الإنسان إلي القيام بسلوك خاص في موقف معين .

وزعيم هذه المدرسة في القرن العشرين (١٩٢٣) هو وليم مكدوجل الذي سار علي نهج أستاذه وليم جيمس والذي قال بوجود ١٤ غريزة أو عاطفة لدي الإنسان وجعل لكل منها انفعالا خاصا بها وهذه الغرائز هي :

غريزة المقاتلة	وانفعالها الغضب
غريزة الهرب	وانفعالها الخوف
غريزة الاستطلاع	وانفعالها التعجب

غريزة البحث عن الطعام	وانفعالها الجوع
غريزة الخنوع	وانفعالها الشعور بالنقص
غريزة السيطرة	وانفعالها الزهو
غريزة التملك	وانفعالها حب التملك
غريزة الحل والتركيب	وانفعالها العمل والنشاط
غريزة حب الاجتماع	وانفعالها الشعور بالوحدة
غريزة حب الاجتماع	وانفعالها الشعور بالوحدة
غريزة الضحك	وانفعالها التسلية
غريزة الوالدية	وانفعالها الحنو
الغريزة الجنسية	وانفعالها الشهوة الجنسية

وتختلف قوة الغرائز والعواطف باختلاف التكوين الفطري في السلالات المختلفة ومع ذلك فالغرائز أو العواطف بحسب هذا الرأي مشتركة بين كل البشر وفي كل سلالة .

وقد أضاف مكدوجل سنة (١٩٢٣) إلي هذه القائمة من الغرائز مجموعة أخرى من الغرائز ووهي غريزة الراحة وغريزة النوم وغريزة الهجرة .

وتعرف مدرسة مكدوجل في تفسير السلوك باسم " المدرسة الفرضية من الغرائز أو العواطف " وتذهب إلي أن خصائص السلوك هي :

obeikandl.com

١ــ أن الإنسان قادر علي أن يحرك نفسه حركة ذاتية تلقائية ، فالإنسان قد يقوم من تلقاء نفسه للمشي أو الجري أو تناول الطعام .

٢ـ أن الإنسان يغير من سلوكه ، فإذا رأي طفل لعبة في يدي زميله وأراد أن يأخذها منه ، فإنه قد يمد يده لأخذها ، فإذا فشل طلبها بلسانه ، وإذا فشل فإنه قد يبكي ، وإذا فشل بعد ذلك فقد يرتمي علي الأرض ويصرخ . وهكذا نجد أن أنه يغير من سلوكه .

٣ـ أن سلوك الإنسان يسير في اتجاه التحسن بمعنى أنه قادر علي التعلم والاستفادة من المحاولات والتجارب السابقة .

٤ـ أن تحقيق الغرض الذي يرمي إليه الإنسان كاف لتوقف السلوك.

٥ــ أن الإنسان حين يسلك سلوكا معينا فإنه يتكيف لذلك السلوك تكيفا كليا فالنسر لا يفترس بمنقاره فقط ، وإنما يستعمل كل ما يستطيع من جسمه لتحقيق غرضه ، ويختلف مقدار التكيف الكلي باختلاف أهمية الغرض وحيويته .

ثانيا: مدرسة التحليل النفسي :

وصل فرويد عالم النفس النمسوى من دراسته لاضطرابات الشخصية إلي نظرية شبيهة بنظرية مكدوجل إذ يرى أن دوافع السلوك البشرى يمكن أن ترد إلي غريزتين أساسيتين هما غريزة الحياة وغريزة الموت ، وغريزة الحياة في نظر فرويد أساسها الغريزة الأولي تتضح مظاهرها في القوى التي تدفعنا إلي البناء والإنشاء والمحافظة علي أنفسنا وعلي النوع الإنساني في حين تظهر آثار الغريزة الثانية في

تلك القوى التي تهدف إلي الهدم والاعتداء والتدمير، وهاتان الغريزتان تنشآن من طاقة حيوية عالية في الجسم سماها فرويد " الليبيدو " .

ومن دراسته للانحرافات الجنسية والإمراض النفسية ، اضطر فرويد إلي التوسع في معنى الغريزة الجنسية فهو يرى أنها تشمل كذلك جميع الدوافع أو الميول التي تهدف إلي اللذة الجنسية والوجدانية .

ويرى أنها لا تقتصر علي مرحلة البلوغ بل ترجع إلي مرحلة الطفولة ، فاللذة التي يجدها الطفل في عملية الرضاعة أو مص أصبعه تعتبر في نظره لذة جنسية مصدرها الفم ، واللذة التي يجدها من الجلوس إلي جانب الأم أو عطف والديه عليه كل هذه في نظر فرويد لذة جنسية .

ويرى فرويد أنه في مرحلة الطفولة تنشأ العلاقات الاجتماعية بين الطفل والديه وتنمو هذه العلاقات وتنعقد ، وبمضي الزمن يزداد تعلق الطفل الذكر بالأم وتزداد غيرته من الأب لشعوره بتملك الأب لها وأنه لها وأنه يشاركه حبها فيضيق صدرها به ويحنق عليه لأنه يريد حبها كله لنفسه .

ويحدث عكس ذلك للفتاة فإنها تحب أباها وتكره أمها (وكل فتاه بأبيها معجبة) ويحدث ذلك عادة من اعتبار الفتاة أن أمها جاءت بها أنثي وليست ذكرا له السيطرة في نظرها . وقد عبر فرويد عن تلك العلاقات بين الطفل ووالديه بعقدة أوديب بالنسبة للذكر ، وعقدة الكترا بالنسبة للأنثى .

وتنتهي تلك الصيغ الجنسية عادة في حوالي سن السادسة لتدخل بعدها الغريزة الجنسية في طور الكمون ، أي عدم الظهور الذي يمتد إلي بداية المراهقة ، فيتركز الاهتمام فيها بالمناطق الجنسية التناسلية .

أما غريزة العدوان : فقد لاحظ فرويد أن الكراهية والعدوان يستتران وراء سلوك الأفراد الأسوياء والمنحرفين ، فهو يرى أن الدوافع العدوانية أصلية فطرية في النفس الإنسانية ، وما مظاهر المحبة إلا أوهام خادعة تستتر وراءها الحقيقة البشرية النازعة إلي العدوان والكراهية . فالغريزة العدوانية إنما هي استعداد فطري غريزي قائم بذاته في نفس الإنسان ، وتشاهد هذه النزعة في الرضيع حين يعمل أسنانه في ثدي الأم ، وتشاهد بين جماعات الصغار التي تستشعر اللذة فيما توقعه بضمان الحيوان والإنسان من إيذاء شديد ، كما تشاهد في الكراهية الشديدة والغيرة الحادة التي قد تبدو حني بين الإخوة . وقد تشاهد كذلك في تعذيب بعض الأفراد لأنفسهم .

وهكذا يرجع فرويد دوافع السلوك البشرى جميعه إلي هاتين الغريزتين غريزة الحياة أو الغريزة لجنسية ، وغريزة الموت أو غريزة العدوان ، سواً في ذلك الطفل الصغير أو الشخص الكبير ، وسلوك الأسوياء أو الشواذ.

وتستمد دوافع الجنس بعض قوتها من كونها لاشعورية غير مدركة وخفية عن الحقائق الشعورية لدي الفرد . وتفقد هذه الدوافع الكثير من أهميتها إذا أصبحت شعورية ومعروفة . ويلعب المجتمع الخارجي وعوامل الإحباط دورا كبيرا في جعل هذه الدوافع خفية ، أي لا

شعورية فالمجتمع الخارجي يقف أمام الطفل ويحول بينه وبين التعبير عن دوافعه الجنسية والعدوانية ، ولعجز الطفل عن ضبط هذه الدوافع ، فليس من سبيل أمامه إلا كبتها وطردها من مجال الشعور فيبدو كما لو كانت تختفي يما سماه البعض مناطق اللاشعور، أو كما أطلق عليه المؤلف البنك النفسي كما أن الخبرات المؤلمة التي تمر بالطفل تنزع بدورها كذلك إلي الاختفاء في أعماق اللاشعور (البنك النفسي) مع ما يحيط بها من حوادث وذكريات وملابسات . علي أن ذلك لا يعني أنها جميعا تلاشت من النفس ولم تترك أثرا في شخصية الطفل ، بل أنها تلح جامدة في الظهور والتعبير عن نفسها فتظهر أحيانا بصورة رمزية كما في الأحلام والنكات وفلتات اللسان وزلات القلم والأيدي

وقد ظهرت أهمية هذه النظرية في كثير من الميادين مثل دراسة حالات الانحراف والمرضى النفسيين والمرضى العقليين بوجه عام ، وحالات القلق والتهتهة ، مما يكشف عن وجود خبرات مؤلمة أو خوف أو شعور بالذنب لا يدرك الفرد مصدره أو أسبابه . وإذا توصل الأخصائي النفسي إلي الكشف عن مصادر هذه الأعراض وأسبابها توصل إلي إدماجها وهضمها في الشعور وبذلك تخف حدة أعراض المرضى النفسي أو تزول ، ويزداد الاتزان النفسي والثبات الانفعالي واعتدالية في الميزان النفسي والسلم الوجداني للشخصية.

ثالثا : المدرسة السلوكية ♣

تذهب هذه المدرسة في تفسيرها لسلوك الإنسان إلي أن الأصل فيه لا يرجع إلـي دوافـع داخليـة موجهـة نحـو غـرض أو غايـة ، وإنمـا ينـتج السـلوك نتيجـة منبهات فيزيائية حسية خارجية وداخلية . وتفسر هذه المدرسة أصل السلوك علي أساس فكرة المثير ورد الفعل (الاستجابة)، مع عدم الاعتراف بوجود أية حالة شعورية بينهما . فالمنبه يثير حركة أو فعلا منعكسا ، وهذه الحركة تكون بمثابة منبه يثير حركة ثانية ، وهذه الحركة الثانية تعمل كمنبه يثير حركة ثالثة وهكذا . ومـا الفعـل الغريـزي مـن وجهـة نظـر هـذه المدرسـة إلا سلسـلة مـن الحركـات الآليـة العميـاء ، والتـي يتبـع بعضـها بعضـا دون حاجـة إلـي افتـراض وجود غرض ترمي إليه أو دوافع توجهه إلي الهدف .

فالسلوك فـي رأي هـذه المدرسـة لـيس إلا مجموعـة مـن الأفعـال المنعكسـة البسيطة والمركبة ، أما الرغبـات والاتجاهـات والـدوافع فلـم يكـن لهـا وجـود فـي هـذه النظريـة ، وبـذلك فإنهـا تتجاهـل الأحـوال النفسـية التـي تقـع بـين المثيـرو الاستجابة ما تسمى بزمن الرجع.

♣ من مؤسسيها : واطسن في أمريكا الذي أراد يجعل من علم النفس علم طبيعي مثل علوم الكيمياء والفيزياء والرياضيات ، والذي تحدث عن قانون الحداثة والتكرار ، حيث قال اعطوني عشرة أطفال وسوف أصنع منهم الطبيب والمدرس والمحامي واللص.
وبـافلوف فـي روسيا ، الـذي حصـل علـى جـائزة نوبـل فـي سيكولوجيا الجهـاز الهضمي لـدى الكلاب ، حيث أكد على أن الاستجابة الشرطية (التعلم) لا تحدث إلا بـاقتران المثير الشرطي مع المثير غير الشرطي (الزمن) ثم تحدث عن التعميم والانطفاء والكف والتمييز.
وسكنر الذي تحدث عن التعزيز وانتقال أثر التعلم .
وثورنـديك الـذي يعتبـر المؤسـس الحقيقـي لعلـم الـنفس التربـوي ؛ لأنـه أدخـل الحيوانـات والحشـرات معمـل علـم الـنفس ، حيـث تحـدث عـن نظريـة المحاولـة والخطـأ وقـانون الأثـر والاستعداد.

ويعتبر هذا من أوجه النقص التي لم تعالجها هذه المدرسة عند أول ظهورها .

ولذلك فأنها أدخلت كثيرا من التعديلات في السنوات الأخيرة ، مما أسمته العوامل الوسيطة أو المتغيرات الوسطية لـ (هل) والتي تحدث عنها في نظريته عن التعزيز.

رابعا ـ نظرية المجال النفسي في تفسير السلوك :

يعيش الإنسان في حيز نفسي أو في بيئة من الناس والأشياء بينها علاقات متغيرة دائمة التغير ، وهذه البيئة يختلف معناها ودلالتها باختلاف الناس وباختلاف حاجات الفرد وميوله وحالة الجسمية والمزاجية الراهنة ، كما يتوقف إدراك الفرد لهذه البيئة والشعور بها علي خبراته ومعلوماته السابقة وحالته الراهنة ، فالطعام لا يستثير الشهية إلا إذا كان الفرد جائعا وسبق أن عاون في إشباعه والبيئة الخارجية وحدها لا تؤثر في الفرد إلا إذا كان مهيئا لهذا التأثر والبيئة السلوكية هي البيئة الواقعية مصطبغة بصبغة شخصية متأثرة برغباتنا وخبراتنا ومعتقداتنا وأحوالنا الجسمية ، والنفسية وهي تنشأ من تفاعل شخصية الفرد ومجالاته بأسرها مع الموقف الخارجي ومجالاته . ويكون سلوك الفرد في تغير دائم بسب التفاعل الديناميكي بين العناصر التي يتكون فيها المجال النفسي ، سواء كانت هذه العناصر ذاتية أو خارجية . وينتج أثناء هذا التفاعل الدائم لعناصر المجال أو الحيز النفسي نوع من عدم الاستقرار أو عدم التوافق يطلق عليه "توتر " .

وكل توتر يكون وراءه حالات من القلق أو الرغبة في إزالة هذا التوتر وإشباع حاجة من حاجات الفرد أو إجابة مطلب من مطالبة .

فتفسير السلوك حسب هذه النظرية يبني علي :

١ــ دراسة المجال أو الحيز النفسي الذي ينبعث فيه ، أي دراسة عناصره وما بينها من علاقات وتفاعلات .

٢ــ أن السلوك لا تحركه أو توجهه قوى حيوية موجهة (غرائز) أو منبهات حسية (كما يذهب السلوكيون) ، بل توترات وحاجات تنشأ من اختلال المجال السلوكي أو الحيز النفسي للشخصية.

٥ــ أن السلوك يرمي إلي خفض حدة التوتر أو ارالته ، والرجوع إلي حالة توازن بإشباع الحاجات وتحقيق الغايات .

وبذلك فأن هذه النظرية تفسر السلوك علي أساس ديناميكي يتجلي فيه اختلال التوازن ومحاولات استعادته ، وبذلك يتضح فيه التغير الدائم والتفاعل المستمر . ويجعلنا هذا التفسير نهتم بما يوجد وراء السلوك من عوامل وألا نكتفي بالنواحي الوصفية السطحية .

خامساً : نظرية المذهب الإنساني الحياتي:

والذي أسسها إيريك فروم – أبراهام ماسلو – كارل روجرز ، والتي أكدت على الطبيعة الخيرة في الجانب الإنساني وأن الإنسان دائماً يسعى إلى تحقيق ذاته حيث تحدث ماسلو عن النظرية الهرمية في تحقيق الذات عن طريق إشباع بعض الحاجات مثل الحاجات البيولوجية الفسيولوجية – حاجات الحب ، وحاجات الأمن ، وحاجات تقدير وتأكيد

الـذات ، ثـم حاجـات تحقيـق الـذات ، وأضـافوا عليهـا حاجـات المعرفـة والحاجـات الانفعاليـة ، ثـم أخيـراً الحاجـات الجماليـة فـي قمـة الهـرم الخـاص بهـذه الحاجـات ، وأن إشـباع هـذه الحاجـات يحقـق الانتمـاء ومـن ثـم الصـحة النفسـية والسـعادة للإنسـان ، وأنـه قـد يحـدث اسـتقلال وظيفـي لـبعض هـذه الحاجـات وخاصـة عنـد المرضـى النفسـيين ، فيشـبعوا بعـض الحاجـات الغير أساسية على حساب حاجات أساسية وجوهرية.

نقد النظريات التي تفسر السلوك :

مـن هـذا العـرض لأهـم النظريـات التـي تفسـر دوافـع السـلوك يتضـح لنـا اخـتلاف وجهـات النظـر فـي تفسـير وتحديـد المقصـود بالـدوافع . فالمدرسـة السـلوكية تعتبـر محركـات السـلوك مجـرد مجموعـة مـن المثيـرات الحسـية الفيزيقيـة . سـواء أكانـت داخليـة أم خارجيـة ، وأن هـذا السـلوك آلـي لا يهـدف إلـي غـرض ، فـي حـين تـذهب نظريـات الغرائـز إلـي القـول بوجـود دوافـع فطريـة أساسـية أوليـة تـدفع الكـائن الحـي لأي القيـان بسـلوك معـين فـي موقـف خـاص بهـدف تحقيـق غـرض مـا . ومـن الاسـتعدادات الفطريـة تشـتق الاسـتعدادات المكتسـبة وهـي العواطـف عنـد مكـدوجل والـدوافع اللاشعورية عند فرويد.

ومـن أهـم أوجـه النقـد التـي وجهـت إلـي المدرسـة السـلوكية أنهـا قصـرت اهتمامهـا بالنسـبة لطبيعـة المثيـر علـي صـفاته الفيزيقيـة ، دون نظـر إلـي أهميتـه ودلالاتـه ومعنـاه لـدى الفـرد . فـالمعروف أن المثيـر الواحـد قـد يثيـر اسـتجابات متعـددة عنـد الأشـخاص المختلفين ، أو حنـي بالنسـبة للفـرد الواحـد فـي مواقـف

مختلفة حسب دلالة هذا المؤثر وقيمته ومعناه . فالطفل قد يبتسم عند رؤية أمه وقد لا يبتسم ، كما أنه يبتسم في غير وجودها .... وهكذا . ولذلك فإن تفسير السلوك دون نظر إلي ما يتضمنه الموقف الخارجي من معان ودلالات ليس بالتفسير المعقول لألوان السلوك المختلفة .

أما نظريات الغرئز ـ كتفسير لسلوك الإنسان ـ فقد عصف بها النقد من كل جانب فالسلوكيون يرون أن ما يسمى بالغرائز يعتبر قوالب جامدة من الحركات الثابتة كتلك التي تلاحظ عند الحشرات والطيور والأسماك . كما اعترض بعض علماء النفس علي هذه النظريات علي أساس أن النفس وحدة لا يمكن أن تنقسم إلي غرائز مستقلة بعضها عن بعض . هذا إلي أن علماء الانثروبولوجيا قد استنتجوا من دراساتهم علي الشعوب أن ما يسمى بالدوافع الغريزية وطرق التعبير عنها إنما تحددها البيئة الاجتماعية والثقافية إلي حد كبير ، فبعض القبائل البدائية لا تظهر بينهم غرائز التملك ولسيطرة الصورة التي تظهر بها في مجتمعات أخرى بل لا يكون لها أي وجود في بعض الأحيان .

ونتيجة لما وجه إلي نظريات الغرئز من أوجه النقد ، اتجه بعض العلماء إلي استخدام لفظ أعم وأشمل من لفظ الغرائز من أوجه النقد ، اتجه بعض العلماء إلي استخدام لفظ أعم وأشمل من لفظ الغرائز وهو لفظ الدوافع ، والدافع يتضمن معنى التحريك أو السير في اتجاه معين ، فاللفظ يشتمل علي مختلف الألفاظ التي تشير إلي نواحي الدفع كالحاجات والحوافز والمثيرات والأهداف والعادات والبواعث .

وهكذا يتجه العلماء إلي تفسير كثير من ألوان السلوك عند الإنسان.. لا باعتبارها غريزية كما فعل مكدوجل ، ولكن علي أساس ظروف الإنسان

الخاصة وما يتصل بها من ظروف البيئة والنضج ، وعلي هذا الأساس يختلف مفهوم الدافع عن مفهوم الغريزة كما عرفها مكدوجل باعتبارها استعدادا نفسيا فيزيقيا ، وأنها ثابتة محددة بغض النظر عن الموقف .

- الغريزة استبدلها علماء النفس بالعاطفة والعاطفة مجموعة مركبة من الانفعالات.
- الدافعية مجموعة مركبة من الدوافع المتنوعة والمختلفة.
- الطبع هو محصلة الغريزة أو العاطفة مع الدافعية مع السمات النفسية.
- الشخصية هي مجموع الغريزة + الدافعية + العقل + الطبع + السمات النفسية والجسمية.

لهذا تحدث آدلر عن علم النفسي الفردي (وعقدة النقص) بسبب التطور التدريجي لشخصية الإنسان من النقص إلى الكمال وان عقدة النقص هي التي تحرك السلوك الإنساني فعقدة النقص تبدأ بالإحساس بالنقص الذي قد يكون سوياً ناجحا في عملية التعويض في جانب وغير سوي (مرضي) في عملية التعويض لأنه يؤدي إلى تكرار الفشل في جانب آخر من الشخصية و هذا الجانب الغير سوي هو الطريق لظهور الاضطرابات النفسية عقدة النقص والتي قد تعالج في ضوء الحب والعمل والمجتمع.

ما يونج فتحدث عن اللاشعور الجمعي لدى البشر [ويشمل التطور التاريخي للسلالات البشرية والتشابه بين البشر في بعض العادات والسمات النفسية والتي تنتقل عن طريق الجينات الوراثية ٤٦ كروموسوم الخاصة بالأب أو الأم.